محاضرات في البلاغة العربية

علم المعاني

علم المعاني :

هو علم يبحث في كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال وهو الطريق الذي يجب أن يسلكه الأديب للوصول إلى هذه الغاية وفيه نحترز من الخطأ في تأدية المعنى المراد فنعرف السبب الذي يدعو إلى الإيجاز، والإطناب، والفصل والوصل، وأول من دون قواعد هذا العلم عبد القاهر الجرجاني حيث هذب مسائله وأوضح قواعده وقد وضع فيه بعض الأدباء والنقاد قبله نتفا كالجاحظ وأبي هلال العسكري إلا أنهم لم يصلوا إلى مثل ما وصل إليه الجرجاني.

وفائدته الوقوف على معرفة أسرار الإعجاز القرآني من براعة التركيب وحسن السبك والإيجاز وجزالة الكلمات والوقوف على أسرار البلاغة في منثور الكلام ومنظومه. (65)

ولتسهيل دراسة مباحث هذا العلم قسمه العلماء إلى ثمانية مباحث هي :

الخبر:

هو قول يحتمل الصدق والكذب والمقصود بصدق الخبر مطابقته للواقع والمقصود بكذب الخبر عدم مطابقته للواقع،فلو قال قائل حضر الزائر الذي ننتظر فهذا خبر يحتمل الصدق والكذب فإذا خرجنا من البيت وتأكدنا من حضور الزائر فالخبر صادق وإن لم نر الزائر فالخبر كاذب.

الغرض من إلقائه :

يقصد المخاطب في خبره للمخاطب أحد أمرين :

1-إعلام المخاطب بالحكم الذي تضمنته الجملة الخبرية حين يكون جاهلا به ويسمى هذا النوع فائدة الخبر لأنه المقصود بالخبر والمستفاد منه نحو الدين المعاملة لمن يجهل هذا الأمر.

2-إعلام المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم الذي تتضمنه الجملة حيث يكون المخاطب عالما بالحكم ولكنه يجهل أن المتكلم يعلمه أيضا ويسمى هذا النوع لازم الفائدة لأنه يلزم في كل خبر أن يكون المخبر به عنده علم أو ظن به ومثال ذلك قولك لمن حفظ المعلقات السبع قد حفظت المعلقات السبع وأنت هنا تقصد إفادة المخاطب أنك عالم بالحكم وهو حفظه للمعلقات السبع،وقد يخرج الخبر عن الغرضين السابقين إلى أغراض أخرى تستفاد بالقرائن ومن سياق الكلام منها :[66]

- الاسترحام والاستعطاف من مثل قول يحي البرمكي يخاطب الخليفة هارون الرشيد :

إن البرامكة الذين رموا لديك بداهيه

صفر الوجوه عليهم خلع المذلة بادية

- إظهار الضعف كقوله تعالى من مثل قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السلام :"رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ".

- إظهار التحسر والأسف من مثل قول أحد الأعراب يرثي ولده :

ولما دعوت الصبر بعدك والأسى أجاب الأسى طوعا ولم يجب الصبر

فإن ينقطع منك الرجاء فإنه سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر.

-الفخر مثل قول عمرو بن كلثوم :

وإذا بلغ الفطام لنا رضيع يخر له الجبابرة ساجدينا

-الإرشاد والنصح مثل ما كتب به طاهر بن الحسين إلى العباس بن موسى الهادي وقد استبطأه في خراج ناحيته:

وليس أخو الحاجات من بات نائما ولكن أخوها من يبيت على وجل

- الأمر .....والوالدات يرضعن / والمطلقات يتربصن.

- النهي.... لا يمسه إلا المطهرون .

- الدعاء.... إياك نستعين / تبت يدا أبي لهب وتب/ قاتلهم الله

- المدح مثل قول النابغة الذبياني يمدح النعمان بن المنذر:

فإنك شمس والملوك كواكب إذا برزت لم يبد منهن كوكب

- التحذير نحو قول الرسول ص ابغض الحلال إلى الله الطلاق[67].

أما بالنسبة إلى **أنواع الخبر**؛ فنجد هناك ثلاثة أضرب وهي :

1-**الخبر الابتدائي** :

إذا كان المخاطب خالي الذهن من الحكم في مضمون الخبر فعندئذ يلقي المتكلم عليه الخبر دون تأكيد ومثال ذلك ابن هانئ الأندلسي:

يا أهل أندلس لله دركم ماء وظل وأشجار وأنهار

ما جنة الخلد إلا في دياركم ولو تخيرت هذي كنت اختار

2- **الخبر الطلبي**:

إذا كان المخاطب مترددا في الحكم المقصود فعندئذ يقلي إليه الخبر مؤكدا بإحدى أدوات التوكيد (أن،لا، م الابتداء) أحرف التنبيه (ألا، أما، ها) أحرف القسم (الواو، الباء، التاء)نون التوكيد الثقيلة ،نون التوكيد الخفيفة، الحروف الزائدة (إنْ أنْ ما ،لا،من ،الباء) وقد سمي طلبيا لأن المخاطب به متردد في تصديق مضمونه وطالب بلسان حاله معرفة حقيقته ومن أمثلة ذلك

ليس الصديق بمن يعيرك ظاهرا متبسما عن باطن متجهم

فالمؤكد بمن.

3- الخبر الإنكاري :

إذا كان المخاطب منكرا للحكم الذي أطلقه المتكلم معتقدا خلافه فحينئذ يجب على المتكلم تأكيد الخبر للمخاطب بمؤكد أو بمؤكدين أو أكثر حسب درجة إنكار المخاطب للحكم قوة وضعفا ومثال ذلك قوله تعالى:قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون" [68].

4-خروج الخبر عن مقتضى الحال :

يقول القدامى كثيرا ما يحل المحيط بفائدة الجملة الخبرية علما محل خالي الذهن لاعتبارات بلاغية مرجعها تجهيله بوجوه مختلفة وإن شئت فعليك بكلام لرب العزة.

- " ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون"كيف تجد صوّر أهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد القسمي وآخره ينفيه عنهم حيث لم يعلموا بعلمهم ونظيره في النفي والإثبات : وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى.

- وهكذا قد يقيمون من لا يكون سائلا مقام من يسال فلا يميزون في صياغة التركيب للكلام بينهما وإنما يصبون لهما التعبير الأدبي عنها في قالب واحد إذا كانوا قدموا إليه ما يلوح مثله

للنفس اليقظى بحكم ذلك الخبر فيتركها مستشرفة له استشراف الطالب المتحير فيميل بين إقدام للتلويح وإحجام لعدم التصريح فيخرجون الجملة إليه مصدره بأنّ ويرون سلوك هذا الأسلوب في أمثال هذه المقامات من كمال البلاغة .

-كذلك قد ينزلون منزلة المنكر من لا يكون إياه إذا رأوا عليه من ملابس الإنكار فيحوكون حبير الكلام لهما على منوال واحد ومن هذا الأسلوب قوله :

جاء شقيق عارضا رمحه إن بني عمك فيهم رماح

-ويقبلون هذه القضية مع المنكر إذا كان معه إذا تأمله ارتدع عن الإنكار فيقولون لمنكر الإسلام (الإسلام حق) وقوله عز وجل في حق القرآن (لا ريب فيه) [69].

الإنشاء :

في اللغة يعني : الإيجاد والإحداث .

-وفي الاصطلاح ذلك الكلام الذي لا يحتمل صدقا ولا كذبا وهو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به، و الإنشاء قسمان هما :

الإنشاء الطلبي :

هو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب وأنواعه: التمني ،والاستفهام والأمر، والنهي ، والنداء.

الإنشاء غير الطلبي:

هو مالا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب ويضم مجموعة من الصيغ منها أفعال المدح والذم ويكونان بنعم و بئس وما جرى مجراهما نحو حبذا ولا حبذا والأفعال المحولة إلى معنى المدح والذم وأفعال العقود وحروف القسم وصيغتا التعجب وأفعال الرجاء وكم الخبرية وربّ.

وللتفريق بين الإنشاء الطلبي وغير الطلبي يلاحظ أن وجود معنى الجملة في الإنشاء الطلبي يتأخر عن وجود لفظه على عكس الإنشاء غير الطلبي؛ إذ يتحقق وجود معناه في الوقت الذي يتحقق فيه وجود لفظه[70].

الإسناد:

يبحث علم المعاني في كل تركيب من لفظتين يسمى الأول مسندا والثاني مسندا إليه وأما صلة النسبة التي بينهما فتسمى إسنادا،فمثلا في قولنا محمد مجتهد؛ فإن المسند إليه محمد ومجتهد مسند وعملية الحكم بالاجتهاد إسناد.

مواضع المسند:

ينشا المسند في الجملة في الحالات التالية :

1- الفعل التام : نحو جاء في قوله تعالى " إذا جاء نصر الله والفتح.

2-اسم الفعل نحو إياك في قول الشاعر :

رماه في البحر مكتوفا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

3- المبتدأ المكتفي بمرفوعه عن الخبر كقوله تعالى " أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم"

4- خبر المبتدأ نحو نعمة في قولك العقل نعمة.

5- خبر الأفعال الناقصة نحو جميلا في قولك كان الجو جميلا.

6- خبر الأحرف المشبهة بالفعل نحو "واقع" في قوله تعالى :" وإن الذين لواقع"

7- المصدر النائب عن فعل الأمر نحو صبرا في قول قطري بن الفجاءة:

فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع

8-خبر الأحرف التي تعمل عمل ليس نحو باقيا في قول قطري بن الفجاءة :

تعز فلا شيء على الأرض باقيا ولا قدر مما قضى الله واقيا. [71]

أما مواضع المسند إليه :

فيتمثل في الأحوال الآتية :

1- الفاعل :نحو الرجل؛ في قولك جاء الرجل.

2 - نائب الفاعل :نحو الأمر والأمور في قوله تعالى :"وقضي الأمر و إلى الله ترجع الأمور"

3- المبتدأ المخبر عنه نحو المؤمنون في قوله تعالى :" إنما المؤمنون إخوة"

4- اسم الأحرف المشبهة بالفعل نحو لفظ الجلالة الله في قوله تعالى:"وكان الله عليما حكيما.

5- اسم الأفعال الناقصة ؛نحو الجو في قولك كان الجو جميلا.

6- اسم الأحرف التي تعمل عمل ليس نحو عمل في قولك لا عمل معيبا للرجل.

7- اسم لا النافية للجنس نحو رجل في قولك لا رجل في الدار[72].

أسلوب التقديم والتأخير :

فهما أحد أساليب البلاغة وهو دلالة على التمكن في الفصاحة وحسن التصرف في الكلام ووضعه في الموضع الذي يقتضيه المعنى.

أنواع التقديم وأدواته وأغراضه:

1- تقديم المسند على المسند إليه كما هو معروف حقه التأخير ولكنه يقدم إذا اقتضى الحال تقديمه فمن مقتضيات تقديم المسند تخصيصه بالمسند إليه والتنبيه على الخبرية والتشويق للمتأخر والتفاؤل غيرها .

2- تقديم المسند إليه لأغراض بلاغية منها أنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه كتقديم الفاعل على المفعول وإن يتمكن الخبر في ذهن السامع لأن المبتدأ مشوق وإن يقصد منه تعجيل المسرة إن كان في ذكر المسند إليه تفاؤل وإن يقصد تعجيل المساءة إن كان في ذكر المسند إليه ما يتطير به ولإفادة العموم وأيضا الغرض منه إيهام التلذذ بذكره، وللتبرك ولتقوية الحكم وتقريره إضافة إلى كون المتقدم محط إنكار وغرابة.

3-تقديم المفعول على الفعل والفاعل: الأصل في العامل أن يتقدم على المعمول وقد يعكس الأمر،فيتقدم المعمول على العامل لاعتبارات عدة من أهمها : إرادة التخصيص والحفاظ على موسيقى الكلام وأيضا كون المعمول محط الإنكار والتلذذ والتبرك وعظمة الاهتمام به.

إضافة إلى بعض متعلقات الفعل الأخرى من مثل:الجار والمجرور مثال ذلك في المسجد صليت والظرف مثل يوم الجمعة قدمت وأيضا الحال نحو مررت راكبا بمحمد.

وهناك أنواع أخرى لا ترجع للمسند ولا للمسند إليه ولا إلى متعلقات الفعل وإنما ترجع إلى أمور كثيرة:السبق كقوله تعالى "ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى"، العلة والسببية كقوله تعالى"

إياك نعبد وإياك نستعين" المرتبة كقوله تعالى" غفور رحيم" لأنّ المغفرة سلامة والرحمة غنيمة والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة، التعظيم كقوله تعالى" ومن يطع الله والرسول"، الغلبة والكثرة كقوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله[73].

أسلوب القصر:

لغة :

هو الحبس قال تعالى :" حور مقصورات في الخيام".

واصطلاحا :

هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص والشيء الأول هو المقصور والشيء الثاني هو المقصور عليه ومن ثم يتبين أن القصر هو تخصيص الحكم بالمذكور في الكلام ونفيه عن سواه بطريق من الطرق التالية :

أولا : أن يكون القصر بالنفي والاستثناء نحو ما شوقي إلا شاعر.

ثانيا: يكون القصر بإنما نحو إنما يخشى الله من عباده العلماء.

ثالثا: يكون القصر بالعطف بلا وبل ولكن نحو الأرض متحركة لا ثابتة.

رابعا: يكون القصر بتقديم ما حقه التأخير نحو إياك نعبد وإياك نستعين[74].

أقسام القصر باعتبار طرفيه :

يقسم القصر باعتبار طرفيه إلى :

1- قصر الصفة على الموصوف : وهو أن تحبس الصفة على موصوفها وتختص به فلا يتصف بها غيره وقد يتصف هذا الموصوف بغيرها من الصفات ويتم ذلك بتقديم الصفة على الموصوف ومن أمثلة ذلك :-القصر الحقيقي حقيقة : لا رازق إلا الله حيث قصرت صفة الرازق على ذات الله سبحانه.

- القصر الحقيقي ادعاء : ما عادل إلا عمر؛ حيث قصرت صفة العدل على عمر رضي الله عنه مدعيا أن عدالة غيره ما لا يعتد به وهي في حكم المعدوم.

- القصر الإضافي :ما كاتب إلا الجاحظ .

2- قصر الموصوف على الصفة : هو أن يحبس الموصوف على الصفة ويختص بها دون غيرها وقد يشاركه غيره فيها ويتم ذلك بتقديم الموصوف على الصفة ويختص بها دون غيرها ومن أمثلة ذلك :

- القصر الإضافي كقوله تعالى :" وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا "

- القصر الحقيقي:ما الله إلا خالق كل شيء، ما سعيد إلا شاعر[75].

الغاية من القصر :

الغاية من القصر هو تمكين الكلام وتقريره في الذهن كقول الشاعر :

وما المرء إلا كالهلال وضوئه يوافى تمام الشهر ثم يغيب

وما لامرئ طول الخلود وإنما بخلده طول الشتاء فيخلد

وقد يراد بالقصر المبالغة في المعنى كقول الشاعر:

وما المرء إلا الأصغران لسانه ومعقوله والجسم خلق مصور .

وقد يكون من مرامي القصر التعريض كقوله تعالى: " إنما يتذكر أولو الألباب"،إذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها ولكنها تعريض بالمشركين الذين في حكم من لا عقل له[76].

الوصل والفصل :

الوصل :

هو عطف جملة فأكثر على جملة أخرى بالواو خاصة لصلة بينهما في المبنى والمعنى أو دفعا للبس يمكن أن يحصل ومثال ذلك في قوله تعالى :"يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين".

ويقع الوصل في ثلاثة مواضع هي :

1-إذا قصد إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي ومن ذلك قول البحتري في مدح المتوكل:

الله مكن للخليفة جعفر ملكا يحسنه الخليفة جعفر

نعمى من الله اصطفاه بفضلها والله يرزق من يشاء ويقدر

فقد وصل في الشطر الأخير ما بين جملتي يرزق من يشاء ويقدر لإشراكهما في إعراب واحد إذ كل منهما خبر لمبتدأ واحد هو الله تعالى.

2-إذا اتفقت الجملتان في الخبرية والإنشائية لفظا ومعنى أو معنى فقط ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما وكانت هناك مناسبة تامة في المعنى ومن أمثلة ذلك :

أ- الجملتان خبريتان لفظا ومعنى كقوله تعالى :" وقل جاء الحق وزهق الباطل".

ب- الجملتان إنشائيتان لفظا ومعنى كقوله تعالى :" واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا".

ج- الجملتان خبريتان معنى ولفظ الأولى إنشاء ولفظ الثانية خبر كقوله تعالى :"ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى"والتأويل وجدك يتيما فآواك ووجدك ضالا فهدى.

د- الجملة الأولى خبرية والثانية إنشائية لكنها بمعنى الخبرية كقوله تعالى:" إني أشهد الله وأشهدوا أني برئ مما تشركون".

هـ- الجملتان إنشائيتان معنى ولفظ الأولى خبر والثانية إنشاء كقوله تعالى:" وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين ولفظ الأولى خبر بمعنى لا تعبدوا.

3- اختلاف الجملتين في الخبر والإنشاء ووقوع التباس في المعنى بحيث يتوهم غير المراد فدفعا لهذا التوهم يتحتم الوصل بين الجملتين فمثلا لو سالت صديقك عن صحة أخيه فتقول له هل شفي أخوك؟ فإذا قال لك لا عافاه الله فهو مخطئ في التعبير؛ لأنه قد يفهم من جوابه الدعاء على أخيه بعدم المعافاة وهو على كل حال لا يقصد هذا لذلك وجب الوصل في هذا الموضع والقول لا وعافاه الله والتقدير لا لم يشف من مرضه هذه الجملة الأولى والجملة الثانية وعافاه الله[77].

أما الفصل فهو :

ترك العطف إما لأن الجملتين متحدتان مبنى ومعنى أو بمنزلة المتحدتين لأنه لا صلة بينهما في المبنى أو في المعنى[78]، ويتم الفصل بين الجملتين في مواضع منها:

1-كمال الاتصال بينهما وهو أن يكون بين الجملتين اتحاد تام بين الجملتين اتحاد تام وامتزاج معنوي حتى كأنهما افرغا في قالب واحد وذلك أن تكون الجملة الثانية :

أ- توكيدا للأولى كقوله تعالى: " فمهل الكافرين أمهلهم رويدا " اتبعوا من لا يسألكم أجرا".

ج- بيانا للأولى كقوله تعالى: " فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى"

2-كمال الانقطاع وهو اختلاف الجملتين اختلافا تاما:

أ- بأن يختلفا خبرا وإنشاء اللفظ والمعنى كقول الشاعر :

لست مستمطرا لقبرك غيثا كيف يظمأ وقد تضم بحرا ؟

ب-بألا تكون بين الجملتين مناسبة في المعنى ولا ارتباط؛ بل كل منهما مستقل بنفسه كقول الشاعر:

وإنما المرء بأصغريه كل امرئ رهن بما لديه

فالجملتان متباينتان لا يمكن العطف بينهما لذلك وجب الفصل وكذلك المتنبي شاعر السماء صافية حيث وجب الفصل بين الجملتين لكمال الانقطاع فانه لا منافسة بين شاعرية المتنبي وصفاء السماء.

3- أن يكون بين الجملتين شبه كمال الاتصال ويكون ذلك حين تكون الجملة الثانية جوابا لسؤال نشأ عن الجملة الأولى فتفصل عنها كما يفصل الجواب عن السؤال كقوله تعالى : "وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء"[79].

الإيجاز والإطناب والمساواة:

من أساليب التعبير البلاغي صور ثلاث هي :

1-الإيجاز:

مأخوذ من وجز الكلام ووجزا وأوجز :قل في بلاغة وأوجزه اختصره وكلام وجيز أي خفيف والوجز الوحي يقال أوجز فلان إيجازا في كل أمر وأمر وجيز وكلام وجيز أي خفيف نقتصر وأوجزت الكلام قصرته وفي حديث جرير قال له عليه السلام إذا قلت فأوجز أي أسرع واقتصر وأوجز القول والعطاء :قلله[80].

فانطلاقا من هذه التعاريف في اللغة يتبين أنه في الاصطلاح يعني وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة وافية بها موضحة لها وإلا كان الأسلوب قاصرا، ومنه قوله تعالى :"كل امرئ بما كسب رهين " [81].

وقد حدد الجاحظ مفهومه بسرد قصة معاوية بن ابي سفيان وصحار بن عياش العبدي حين سال معاوية صحارا عن البلاغة ؟ فأجاب الإيجاز فاستفسر عنه فقال صحار: لا تبطئ ولا تخطئ.

وقد حدد المتأخرون الإيجاز بنحو قول السكاكي: الإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط .

وقد اعترض القزويني على حد السكاكي وقال : إن الأقرب أن يقال: المقبول من طرق التعبير عن المعنى هو تأدية أصل المراد بلفظ مساو له أو ناقص عنه أو واف أو زائد عليه لفائدة [82].

وله ثلاثة اضرب هي :

الضرب الأول :

سلوك طريق التضييق بحذف بعض الكلام من اجل قوة الدلالة على المعنى ومن أمثلته قوله تعالى:"يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم" أصله يلقون أقلامهم ينظرون ليعلموا أيهم يكفل مريم.

والضرب الثاني:

سلوك طريق المساواة مع الاختصار وهو أن يكون للمعنى عبارتان متساويتان واحدهما أطول بسبب تفصيل أو غيره فتعدل عن الأولى إلى الثانية والمثال الأشهر في هذا الباب عندهم هو قوله تعالى :"ولكم في القصاص حياة"والبلاغيون يوازنون بين هذه الآية الكريمة وبين أوجز كلام في هذا المعنى لدى العرب وهو مثلهم القائل القتل أنفى للقتل.

والضرب الثالث :

أن يكون المعنى خليقا بمزيد من البسط فيترك إلى بسط أحد منه توخيا لغاية معنية من مثل الامتلاك أو غيره ومن أمثلته قوله تعالى:" إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي" لأنه وأن تعدى درجته الأولى وهي مثل يأمر الله بالحسنات وينهى عن السيئات، فلم يبلغ حد ما يقتضيه مقام نصح العباد بفعل السنة والواجبات وبترك جميع الفواحش والمنكرات مما يمكن أن يفرغ القائل فيه جهده بسطا وتفصيلا[83].

الإطناب :

لغة : البلاغة في المنطق والوصف مدحا أو ذما وأطنب في الكلام بالغ فيه والإطناب المبالغة في مدح أو ذم والإكثار فيه وأطنب في الوصف إذا بالغ واجتهد وفرس في ظهره طنب: أي طول وطنب الفرس طنبا وهو أطنب طال ظهره ومنه أطنب في الكلام إذا ابعد والإطناب من أقدم فنون القول التي تحدث عنها القدماء حيث ارتبط حديثهم عنه بالحديث عن الإيجاز (84).

وللإطناب أضرب ثلاث هي :

1-الضرب الأول :

سلوك طريق التوسيع بالتفصيل ومن أمثلته قوله تعالى:"واتقوا يوما لا تجزئ نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون " ترك ما قد يكون إيجازا في مثل القول "واتقوا يوما لا خلاص فيه عن العقاب لمن أذنب" لأن الكلام موجه إلى الأمة الإسلامية بغرض نفسه صوره ذلك اليوم في ضمائرهم، وكما نعلم ففيهم العا لم وفيهم الجاهل المسترشد والمعاند والفهم والبليد....فلم يوجز القول القرآني لئلا يختص المطلوب بفهم واحد دون واحد أو يناسب قوة سامع دون سامع.

2- الضرب الثاني:

من الإطناب سلوك طريق التوسيع بمثل التتمة كقول موسى عليه السلام رب اشرح لي صدري و يسرلي أمري" بزيادة لي تأكيدا لطلب الانشراح للحاجة القصوى إليه ذلك الذي يؤذن بتلقي المكاره وضروب الشدائد.

3- الضرب الثالث:

التوسيع بمثل التذييل كقوله تعالى :"الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا" لو أريد اختصاره لما اجري ويؤمنون به في الذكر إذ ليس احد من مصدق حملة القران يرتاب في إيمانهم ووجه الحسن في ذكره إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه [85].

المساواة:

هي الأصل الذي يكون أكثر الكلام صورته مثالها من النثر قوله تعالى :" إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا "

والمساواة نوعان:

1-مساواة مع اختصار: وهو أن يتحرى الأديب في تأدية معنى كلامه أخف مما يمكن فيحتال على جلب الألفاظ القليلة الحروف والكثيرة المعاني التي يعز تحصيل مثلها على من دونه في البلاغة.

2-ومساواة دون مراعاة الاختصار: فيأتي الأديب بالمساواة كيفما اتفق من غير ما تحر كلام ويسمى ذلك متعارف الأوساط وهذا النوع من المساواة يقف البلاغيون منه موقف الحياد لا يمدحونه ولا يذمونه[86].